قرطاجة

تقدم لنا في الكلام على الفينيقيين ذكر هذه المدينة العظيمة وهي اشهر مدائنهم واوسعها ظلاً وامنعها جانباً واعزّها سلطاناً واغزرها ثروةً وقد التفّت حولها طوارئ الفينيقيين وانتشرت منها الى كل وجهٍ من المعمور فاستولت على مقاليد التجارة والصناعة واحتجنت جباية الاقاليم البرية والبحرية حتى اذا تأذّن الله بانقراض دولتهم في فينيقية بقيت خَلَفاً منها وقارعت الدهر ازماناً طوالاً الى ان لحقت بسالفتها فعادت كلتاهما كأن لم تغنَ بالامس سُنّة الله في خلقهِ

وكانت قرطاجة قائمةً على الشاطئ الشمالي الشرقي من بلاد المغرب وموضعها بين تونس واوتيكا وهي المعروفة اليوم بغار الملح . ويُطلَق اسم قرطاجة على جمهورية عظيمة هي اول جمهورية جمعت بين التجارة والفتوح الا انهُ لم يصل الينا من تأريخها الا الشيء اليسير مما استطرد الى ذكرهِ بعض كتاب اليونان كهيرودوطس وارسطوطاليس وغيرهما وعنهم نقل كل من تكلم عليها بعد ذلك . وقد جاء ذكرها في شعر ڤرجيل الروماني لكن في كلامٍ مورَّى يؤخذ منهُ انهُ كانت قد حدثت في صور اضطراباتٌ سياسية هاجر بسببها قومٌ من اهل تلك الاطراف وقصدوا الساحل الشمالي من افريقيا وكانت قد أُنشئت هناك مدائن أخرى فينيقية منها اوتيكا المقدَّم ذكرها فاختطّوا هذه المدينة في الموقع المذكور وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠ قبل الميلاد . وقد اسلفنا في الكلام على الفينيقيين حديث ديدُون اخت

بجماليُون وما كان من مهاجرتها الى افريقيا بعد مقتل بعلها وشروعها في بناء قرطاجة وهو موافق لما هنا . قالوا ولما جاءت افريقيا رآها ايراباس ملك الجاتوليين وهم سكان تلك الناحية فطلبها للزواج فامتنعت فلما الحّ عليها طعنت نفسها بخنجر فماتت . وكان القرطاجيون يجعلونها في عداد الآلهة ولها عندهم هيكل كانوا يجتمعون فيهِ للمشورة

ولما استقرّ الفينيقيون في تلك الارض اخذوا يتبسطون فيها شيئاً بعد شيء بحيث لم يأتِ عليهم الا نحو نصف قرن حتى تملكوا جانباً عظيماً منها واوغلوا في داخلها الى مدًى بعيد ووزعوا طوارئهم بين تلك الامم الهمجية من الليبيين والزواكيين وغيرهم وكان غالبهم من القبائل الرُحَّل فامتزجوا بهم وعوّدوهم حرث الارض وسكنى المدَر ولم تلبث تلك الارض الخصيبة ان اصبحت باسرها مبآءةً لهم وكانت طوارئهم هناك بمنزلة احلافٍ متضافرة تستظلّ جميعها تحت لوآء قرطاجة

ثم ان القرطاجيين طمحت انفسهم الى التبسط شرقاً فزحفوا الى جهة قُورين بساحل برقة وهي طارئة يونانية قديمة فكانت بين الفريقين وقائع دامية وفي آخر الامر استولوا على جميع الارض الواقعة بين خور سِدرة وخور قابس . وكان غرضهم من الاستيلاء على هذه الاماكن التذرع الى توسيع تجارتهم والايغال بها الى داخل افريقيا دون التملك لانهم كانوا على غير ثقةٍ من انفسهم بالقدرة على ضبطها وحمايتها وانما كان معظم وكدهم منصرفاً الى امتلاك الجزُر لانهم يستطيعون ان يمنعوها باساطيلهم فافتتحوا سردينيا وهي افضل طوارئهم ثم جزُر الباليار (اي الرماة) ومالطة وكُرسِكا وجزراً اخرى

صغيرة في البحر الرومي واستولوا على الجانب الغربي من صِقِلّية وبلغوا فيما يقال الى الجزر السعيدة وهي المعروفة بالجزائر الخالدات وجزيرة مُدَيرة وتوابعها في الاتلنتيك وبثّوا طوارئهم في اسپانيا والسواحل الغربية من افريقيا وغيرها . ولحفظ هذه الفتوح لم يكن لهم بدٌّ ان يجهزوا اساطيل عظيمة وجيشاً عديداً وكان اكثر جيشهم من المتطوعة وبحارتهم من العبيد

اما دين القرطاجيين فقد كان مزيجاً من معتقدات الفينيقيين والليبيين واسمآء آلهتهم قلما تختلف عن اسمآء آلهة صور . وكان اعظم معبوداتهم زُحَل ويسمونهُ بعل مولك او كرُونوس وقيل المراد ببعل مولك الشمس وكان يحرم عليهم ان ينطقوا بهذا الاسم فاذا ارادوا ذكرهُ عبروا عنهُ بالازلي او السرمدي وذلك كما يفعل اليهود اذا ارادوا ذكر « يهوڤا » فانهم يعبرون عنهُ بأدُوناي . ومن الآلهة الفينيقية مَلكَرْت وعشتاروت وكانوا يوقدون لملكرت نيراناً عظيمة كما كان يُصنع في كل طارئةٍ من طوارئهم ويرفعون اليهِ هدايا ثمينة يبعثون بها الى هيكلهِ في صور . وكان لهم في كل سنةٍ ضحايا بشرية يترضونهُ بها واذا نزلت بهم كارثةٌ شديدة ذبحوا لهُ اعزّ الناس عندهم . وذُكر انهم لما فشلوا في احدى حروبهم في صقلّية توهموا ان ذلك كان عقاباً لهم من ملكرت لتقصيرهم في توجيه الهدايا الى هيكلهِ في صور فارسلوا اليهِ اموالاً ونفائس لاتُحصَى حتى جردوا الهياكل من اغشيتها الذهبية . ثم انهم كانوا قبل ذلك قد اصطلحوا على ان يفتدوا الاطفال التي يضحونها لهُ عادةً بعبيدٍ يشترونهم بالثمن فخافوا ان يكون هذا ايضاً مسبباً لغضبهِ فضحّوا لهُ مئتي رجلٍ من اشرف أُسَرهم . ورُوِي عن انيبال انهُ لما همّ بالحرب في

ايطاليا بلغهُ ان ولدهُ قد عُيّن لان يكون ضحيةً في تلك السنة فقال الآن قد ارصدت للآلهة اكرم ذبيحة ترضيها

اما حكومتهم فكانت مؤلفةً من الاشراف وارباب الثروة لكن يمازجها شيءٌ من النظام الديمقراطي وكان مرجع الاحكام فيها الى مجلس شيوخ يتألف من نحو ثلاث مائة عضو من الاعيان ويرأسهُ نائبان يجدَّد انتخابهما سنةً فسنة وكل ذلك على تفاصيل لم يبقَ سبيلٌ الى تحقيقها لغياب اصولها وكذلك موارد الدخل وكيفية توزيع الاتاوات والضرائب مما يذكرهُ المؤرخون على سبيل الحدس والتقريب فلا نطيل بالكلام عليهِ

وكان من وكد قرطاجة ان تحتكر لنفسها جميع موارد التجارة في الغرب فكانت تُبعِد في مرمى طوارئها وتجهد في دفع الاجانب عن كل موضع تصل بضائعها اليهِ . وكانت تجارتها في البرّ على القوافل تستعين على خفارتها بالقبائل الرُحّل المجاورة لخور قابس وما يليهِ من الساحل فكان القرطاجيون يسافرون شرقاً الى مصر وجنوباً الى نواحي الزاب وما وراء ذلك . واما تجارتها البحرية فكانت مقصورةً في الغالب على طوارئها فكانت سفنها ترسو على جميع فُرَض البحر الرومي وتتجاوزها الى الحدود الشمالية من اسپانيا ثم تنتهي في الاتلنتيك من الجهة الواحدة الى شواطئ بريطانيا ومن الجهة الاخرى الى سواحل غينيا

وكان لا يزال في انفس القرطاجيين شيءٌ من الاستيلاء على بقية صقلّية لما هي عليهِ من الخصب والغنى فلما توالت انتصاراتهم وعظمت دولتهم ابرموا محالفةً مع أحشويرش (زركسيس) الاول ملك فارس سنة ٤٨٠ وكان

ينوي الغارة على بلاد اليونان وتواطأوا معهُ على ان يجيشوا على صقلّية في حين حشدهِ على اليونان فانضمّوا الى الاتروريين من طوائف ايطاليا بقيادة أَملِكار احد مشاهير قوادهم وابحروا الى صقلية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على القرطاجيين كما كانت الدائرة في حرب اليونان على الفرس في حديثٍ ليس هنا موضعهُ . فاضطروا الى الصلح على غرامة الفي وزنة من الفضة (نحو احد عشر مليون فرنك ونيّف) والزموهم الغآء الضحايا البشرية لآلهتهم وان يبنوا تذكاراً لهذا الصلح هيكلين احدهما في قرطاجة والآخر في سرقوسة احدى مدن صقلية

ولبثوا بعد ذلك في سكون مدة سبعين سنة ثم استأنفوا الغارة على صقلية فناهضهم ديونيسيوس السرقوسي فكانت بين الفريقين ثلاث وقائع هائلة وذلك من سنة ٤١٠ الى سنة ٣٦٨ هلك فيها من جيش القرطاجيين خلقٌ لا يحصى وآخر الامر عُقِد الصلح بينهما على ان يلزم كل فريق حدودهُ الاولى فبقي القرطاجيون مستولين على ثلث الجزيرة

وحدثت بعد ذلك فتن متوالية في صقلّية فكان القرطاجيون عند حدوث كل فتنة ينهضون للغارة على بقية الجزيرة فيرجعون بالخيبة الى ان كانت الفتنة الكبرى سنة ٢٦٨ قبل الميلاد حين ثار الجيش في سرقوسة واستولى على مسّينا ثم اوقد الثورة في عامّة الجزيرة فانقسم الصقلّيون الى حزبين احدهما مع الثوّار والآخر عليهم وانضمّ القرطاجيون الى هذا الحزب فكانوا يداً واحدة على الثوار فاستغاث هؤلآء بالرومان ونشبت الحرب بين الجانبين فكانت الغلبة للثائرين وأُلجئ القرطاجيون الى الخروج من الجزيرة

وكان ذلك بدء الحروب المشهورة بين القرطاجيين والرومان المعروفة بالحروب الفينيقية (Guerres puniques) . وتوالت الوقائع بعد ذلك بين الطائفتين تارةً في البرّ وتارةً في البحر وكان الفوز في اكثرها للرومان واخيراً أُبرِم الصلح على غرامةٍ فادحة كان من اعقابها عجز القرطاجيين عن ادآء رواتب الجيش وذلك نحو سنة ٢٤٠ فثاروا عليهم وشايعهم فريقٌ من الرعية كانت قد اشتدّت عليهم المضايقة في اثنآء الحرب فاضطرمت الفتنة الداخلية في البلاد ودامت مدة ثلاث سنوات انتشرت في اثنآئها الى سردينيا فكانت سبباً في خروجها من ايديهم واستولى الرومان عليها غنيمةً باردة

(ستأتي البقية)

من أين اخذ پستور

جآء في احدى المجلات العلمية كلامٌ في معنى هذا العنوان فاحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

من المشهور ان پَستُور هو المكتشف لجراثيم الاختمار في الموادّ العضوية والواضع لهذا العلم في الزمن الحالي ولكنا عند البحث نجد انهُ لم يفعل في هذا الشأن سوى انهُ استقرى اقوال من سبقهُ واخذ من مجموعها اصلاً بنى عليهِ وفرّع عنهُ وبذلك انطمس ذكر من جآء قبلهُ واصبح الامر كلهُ منسوباً اليهِ مع ان جميع ما ذكرهُ قد تقدمهُ فيهِ غيرهُ من زمنٍ طويل خلا ان ما قالوهُ كان ينقصهُ القياس النظري وهو كل ما فعلهُ پستور

وذلك انهُ كان من المعلوم من عهدٍ بعيد ان الاختمار في الخمر والسوائل